المبحث الخامس

دعوة للاستدراك

الثغرة بين الأجيال...حتى متى؟

من هو المسؤول عن تفشي الروح السلبية لدى قطاع واسع من الفتية والفتيات؟ ومن يقف وراء حالة قلة الاكتراث، وانعدام الشعور بالمسؤولية التي تظهر واضحة على سلوك تلك الشريحة؟

الجواب معروف للجميع، وهو لا يحتاج لكثير من السرد والإطالة. فالسبب الأول ـ في رأي اغلب الناس ـ هو غياب دور الأسرة، والسبب الثاني ـ في رأيهم ـ ضعف التأثير التربوي داخل المدارس، والسبب الثالث ـ كما يؤكد المجيبون عن السؤال ـ هو الدور التخريبي الذي تمارسه بعض وسائل الإعلام.

ثم يهدأ الجواب، ويختفي الصوت المجيب عن ذلك السؤال المشروع ما يوحي بعدم وجود عوامل أخرى يمكن أن تؤدي دورا فاعلا في استنهاض همة الشباب، والعودة بهم من جديد إلى مستوى المشاركة الفعلية في أحداث الحياة، بل الإسهام في صناعة المستقبل الذي نرجو جميعا أن يكون مواتيا وواعدا.

الدائرة الرابعة المرشحة للتأثير على الشباب هي الدائرة الاجتماعية التي تشمل شريحة الكبار من جيل الآباء وهم يشكلون ـ في اعتقادي ـ الجسر القادر على ردم الهوة الشاسعة التي

تفصل بين الشباب وبين أهداف المجتمع من هذه الشريحة التي تتطلع إليها الدول بأمل ورجاء.

الصورة الحالية للتجمعات العامة تفصل بين التجمعات الشبابية، وتجمعات الفئات العمرية الكبيرة التي لديها الخبرة والتجربة والمعرفة وتلك كنوز يحتاج إلى امتلاكها أولئك الشباب بينما هي محجوبة عنهم بمثل هذا الفصل والتمايز الذي توصف به تجمعات الطائفتين ومن ثم انفراد كل فئة بعالمها الخاص وهمومها الخاصة أيضاً!

إن انعدام التمازج والاختلاط بين الشباب وبين جيل الآباء في المنتديات وفي المجالس وفي التجمعات العامة هو خطأ فادح، وتقصير ليس له ما يشفعه من مبررات وأعذار في حق جيل مازال صغيراً في السن، ومازال يعاني من تناقضات صارخة يعج بها المجتمع المحيط ولكن أصحاب الرأي والخبرة يكتفون بدور المتفرج فقط دون أن يكلفوا أنفسهم عناء المخالطة والمشاركة المباشرة في أنشطة الشباب وفي جلساتهم الخاصة.

هذا الاحتكاك المطلوب يقتضي أن يتنازل الآباء عن بعض كبريائهم ويخوضوا بأنفسهم تجربة مصاحبة أبنائهم في المنتديات الشبابية والتجمعات الخاصة بهذه الفئة العمرية والتي كثيرا ما تكون في المقاهي والأماكن الشعبية التي ربما لاتناسب المظهر الاجتماعي الذي عليه الأب، ولكن لا بأس من المحاولة والاقتحام

حيث إن البداية هي الصعبة دائما أما لو خاضها ذلك الأب الحازم فان عددا كبيرا من الآباء سيبادرون بدورهم إلى خوض التجربة ذاتها ومن ثم تتسع الدائرة الاجتماعية التي تستوعب الجيلين في لقاء مفتوح واحتكاك مباشر تذوب من خلاله المشاعر الفاترة وتنتعش الأفكار الإيجابية في أجواء تبشر بنقلة حقيقية في طبيعة العلاقة التي تربط بين هذين الجيلين. وليس ترفا في القول ولا مبالغة في سرد الحقيقة إذا ذهبنا إلى أن الحوار التلقيني الذي كان يدور في البيوت ووراء الجدران الإسمنتية والذي كان مادته الأوامر والنواهي المجردة لم يستطع أن يحرك في جيل الشباب الهمة نحو تحمل تبعاته وواجباته.

نعم لقد عجز الأسلوب المباشر المعتمد على اللغة الفوقية الاستعلائية عن الإجابة عن تساؤلات الجيل أو على أقل تقدير عن حماية تلك الفئة من أن تنحرف أو تضل الطريق.

لا بد من تفعيل الاتصال بين الأجيال، وليس من سبيل لتحقيق هذه النقلة النوعية في فكر جيل حائر إلا أن تمد الأيدي نحوه وتفتح القلوب له، ويتلاقى الجميع على مائدة اللهو المباح، وفي اجواء الحوار الدافئ.

✎ ~ ~ ~

الحمى المستباح

بلغ معدل ما تنفقه الدول العربية على ألعاب الأطفال من الدمى وألعاب الفيديو والألعاب الرياضية نحو مليار دولار حسب آخر إحصائيات عام 2002م. وقد أشار جيف ديكنسون المدير الشريك في شركة «إيبوك ميسي فرانكفورت» للمعارض إلى أن معدل الانفاق على الدمى والعاب الفيديو لكل طفل في منطقة الشرق الأوسط يبلغ نحو 263 دولاراً في السنة. مما يعد ثاني أعلى نسبة في الإنفاق على الألعاب في العالم بعد أميركا الشمالية.

كما أضاف قائلا: «إن منطقة الشرق الأوسط تحوز على أكبر نسبة في العالم لعدد محلات البيع بالمفرق «التجزئة» للألعاب مقارنة بعدد السكان.

دلالات مثل هذه الإحصائية دون شك خطيرة وتستدعي الوقوف أمامها طويلاً حتى نعرف إلى أين تمضي الرياح بالجيل الجديد، وما مدى قدرة هذا الجيل على اتخاذ مواقف إيجابية من عروض الألعاب الإلكترونية المختلفة التي ما إن تستقر في الأسواق حتى تلتقطها الأيدي الصغيرة وتسرع بها إلى البيوت، ومشاعر الغبطة والشعور بالظفر تملأ كيانهم، وتغريهم بمزيد من البحث

الدؤوب لاكتشاف الجديد من هذه البرامج عديمة الجدوى والأثر.

إن الولع بهذه الألعاب، وإدمان التسلية بها، والاستغراق في الجلوس أمامها الساعات الطوال من شأنه أن يكرس عادات سلوكية سيئة، ويشيع حالة من الفتور الذهني، والانصراف عن التفكير في القضايا الأكثر أهمية مما ينعكس سلبا على شخصية الفتيان والفتيات، ويهمش من وجودهم وفاعليتهم في المحيط الأسري والاجتماعي إضافة إلى ضياع الوقت، وسيطرة الاهتمامات الضعيفة على عقول الجيل الجديد.

والثابت أن غياب التربية النقدية التي تؤسس في الطفل القدرة على اصدار أحكام مستقاة من مبادئ المجتمع، وأخلاق الأمة على ما يرى ويسمع يفقده في المستقبل القدرة على التمييز بين الحسن والقبيح من الأقوال والأفعال، ويصيبه بالعجز عن تكوين رؤية صحيحة للأفكار والشعارات التي ترفع من هنا وهناك.

وأخطر ما يترتب على غياب الحس الناقد لدى الجيل الجديد أنهم يتحولون إلى مجرد جمهور سلبي يتأثر ولا يؤثر، وينفعل ولا يتفاعل، ويستقبل الأفكار ثم يقوم بإعادة تقديمها من جديد دون أن يرى لنفسه دوراً، يسحب البساط من تحت أقدام الفكر الدخيل، ويدفعه للتعرف على جوانب أخرى في الحياة أكثر فاعلية وأجدر بالمحاكاة.

وهكذا تنتفي خيارات الجيل الذي افتقد إلى وجود بنية ثقافية تحتية تهيمن على تفكيره، وتشرف على مسارات عقله، وتعرض عليه أحداث الحياة كما هي من غير تزويق أو إبهار.

وحين يفتقد الشباب إلى مصادر التأثير الإيجابية تكون الأرض من تحت أقدامهم رخوة، وكلما حاولوا الثبات انزلقوا اميالاً في الأرض المتحركة حيث لا نجاة أو أمان.

إن الأسئلة المرة التي تفرض نفسها بوضوح شديد: إلى متى يظل هذا النشء الحائر يدور في مثل هذه المتاهة التي تسببت عوامل كثيرة في دخوله فيها؟

إلى متى تظل البدائل شحيحة، وعاجزة عن المنافسة واستثارة إعجاب الفتيان والفتيات؟

وإذا ما ظلت تكنولوجيا الألعاب في أيدي الآخرين إلى المدى الطويل فكم جيل سيتخرج من هذه المدرسة العبثية التي تأكل الوقت، وتأتي على العقل، وتضعف الشخصية؟

ألهذه المشاكل المتراكمة حلول، أم أن الاستسلام للطوفان أصبح خيار أمة بأكملها؟!

~ ~ ~ ✎

السلم على الحائط الخطأ

إن لدينا فجوة معرفية حول الوسائل العملية القادرة على تكوين علاقة ناجحة بين الطفل وبين الكتاب.

هذه الفجوة الذهنية سببها - دون شك - غياب الوعي الكافي بدور المطالعة في تنمية شخصية الطفل وإكسابه مهارات عقلية هو أحوج ما يكون إليها من جهته، ومن جهة ثانية الاستمرار في اتباع الطرق التقليدية التي تعتمد على الأوامر والتوجيهات دون توفير وسائل عملية تتناسب مع سن الطفل وتستجيب لحاجاته وإمكاناته العقلية. في لقاء جمعني مع مجموعة من السيدات في برنامج يتناول موضوع «الوسائل العملية للارتقاء المعرفي» دار حديث ساخن حول موضوع القراءة لدى الأطفال أكد لي أن من بيننا من لديهم تصورات مشوشة ومفاهيم مختلطة حول الطريقة الصحيحة لتنمية حب القراءة والمطالعة لدى الأطفال.

لقد بادرتني تلك السيدة بالقول: كيف تطالبيننا بأن نفتح المجال لأطفالنا في البيوت ليمارسوا المطالعة الحرة؟! إني قلقة بشأن استحالة تحقيق مثل هذا الموضوع في المنزل!! فلما سألتها: ومن أين تأتي الاستحالة؟ أجابت: إن لدينا مكتبة كبيرة ومتنوعة وتحتوي على مئات الكتب ولكنها تخص الأب. وهو لا يسمح

بالاقتراب منها، ناهيك - عن مطلبك الحالي - بأن يصادق الطفل الكتاب، ثم تنهدت بألم وقالت: كيف تتحقق الصحبة مع مكتبة عليها يافطة تقول: ممنوع الاقتراب أو اللمس!! المسألة محيرة إن كانت على هذا النحو الذي تصوره هذه السيدة!! فكيف نطالب الأبناء بالعبث في مكتبة الآباء؟ والآباء المساكين تعبوا في جمع كنوزهم الثمينة التي نريد من الأبناء أن يلعبوا بها!! ياللسخرية من هكذا حال.. يا للسخرية من هذه المفاهيم والأفكار... لقد قلتها في نفسي ومازلت أقولها إننا نعاني من خلط شديد في أمور غاية في البساطة والسهولة، وفيما يختص بتنمية عادة المطالعة لدى الأبناء فالخلط شديد على هذا النحو الذي تثيره هذه السيدة!! فالصورة التي توجد عليها كتب المطالعة في بيوت كثيرة - مع الأسف الشديد - تظهر على شكلين، الشكل الأول هو أنه ليس ثمة مكتبة من حيث الأصل في المنزل، وبالتالي فالحديث يطول ويطول لدرجة أننا بحاجة إلى تكوين مفاهيم جديدة لأولئك الآباء والأمهات الذين ليس في بيتهم مكتبه.

الشكل الثاني هو أن هناك مكتبة عتيدة جيدة الصنع، عظيمة الارتفاع، بها صفوف كثيرة، وأرفف عديدة تحتوي على مجلدات ضخمة، ومراجع شاملة، وكتب عظيمة، ولكنها - كما تعلمون - ملك للأب المثقف الذي جعل ما في المكتبة شأناً خاصاً به، غير أنه يسمح للزوجة - إن كانت محبة للقراءة - أن تشاركه قراءة الكتب.

ولو سألت هذا الأب القارئ: متى تسمح لأبنائك بأن يأخذوا من المكتبة ما يشاؤون من كتب فسيقول لك: مازال الوقت مبكراً، ألا ترى أنهم أطفال، ولهذا فلن أسمح لهم باستخدام الكتب إلاّ بعد أن يكملوا المرحلة الإعدادية ويلتحقوا بالمرحلة الثانوية.

وحسب منطق هذا المبدأ الغريب، على الأبناء أن ينتظروا ستة عشر عاماً كاملة لكي يصبح الطفل بين عشية وضحاها ذلك الطفل الخارق الملهم، الذي سينزل عليه وحي القراءة والبحث فجأة ودون مقدمات ولا إعداد مسبق ولا تهيئة من أي نوع!! إنما هو الانتظار لسن السادسة عشرة وأكثر، ليلتحق الابن بركب أبيه فيكون هذا الشبل حقاً من ذاك الأسد!! يا للغرابة، هل حقاً تستطيع السنوات العجاف التي لم يمارس فيها الطفل أنواع القراءة المتنوعة في مراحل عمره أن تنتج لنا ذلك القارئ الفذ والباحث الخطير..

الجواب لا.. وألف لا.. إنه ما لم تتم عادة القراءة منذ الصغر فالانتظار طيلة السنين التي يحددها مثل ذلك الأب يكون انتظاراً للوهم والسراب. فمن أجل تنمية عادة المطالعة لابد من البدء من السنوات الأولى للطفل، ويتم هذا الأمر بتخصيص مكتبة صغيرة بسيطة الحجم، تتناسب مع سنه الصغيرة، وتكون قريبة من مكان لعبه ولهوه على نحو يتيح له أن يمسك الكتاب، ويقلبه، ويرى تلك الصور والظلال منذ نعومة أظفاره لا أن تحجب عنه الكتب إلى أن يكبر ويصبح راشداً حينها سيصبح الأمر عسيراً وربما في حكم المحال!!

الألفة مع الكتاب

كل ما تحتاجه أي أسرة لتكوين علاقة ناجحة بين الطفل والكتاب هو أن تجعل عين الطفل تراه وتلحظه منذ الشهور الأولى لميلاده على النحو الذي يصور له أن هذا الشيء وهو الكتاب أو القصة بصورة أكثر تحديداً أمر يخصه ويعنيه ويرتبط بوجوده تماماً كما تعنيه ألعابه وأشياؤه الخاصة التي يتعامل معها بحب وحماس ويراها عالمه الخاص الذي لا يقبل عنه بديلاً، ولا يرضى أن تمتد الأيدي إليه فتأخذ ما يراه ملكاً خاصاً به وحده ولو لفترة قصيرة من الزمن.

خير من تحدث في هذا الموضوع الكاتبة الغربية برنيس كلينان في كتابها الذي أسمته «اقرأ لي» وهي كاتبة متخصصة في ثقافة الطفل، وترى أن الخطوة الأولى في تحقيق علاقة فريدة بين الطفل والمطالعة أن يتيسر الكتاب للطفل الصغير على صورة تجعله في متناول يد الطفل في كل وقت وحين.

وتقترح لذلك الهدف أن يكون الكتاب موجوداً بين ألعابه، وكأنه قطعة تكمل مجموعته الخاصة التي يرتبط بها، فإذا ما ذهب ـ وهو كثير ما يذهب ـ إلى صندوق الألعاب كان الكتاب بانتظاره.. كما تقترح الكاتبة برنيس كلينان، أن يوضع كتاب خاص بالطفل على طاولة الطعام حيث يلهو الطفل قريباً من أمه، بالملاعق الصغيرة الموجودة على الطاولة، ومعها تداعب أنامله الغضة تلك الأوراق

فيقلبها تارة، ويتركها تارة أخرى في لهو محبب ومغامرة فريدة مع تلك الأوراق الجميلة الملونة التي تتكون منها تلك القصة التي وضعت بين يديه.

وحتى لا تتعرض الأوراق للتلف السريع جراء هذا العبث الطفولي يفضل أن تكون من النوع المقوى، أو أن تكون مغلفة بطبقة من البلاستيك لحمايتها من التمزيق على يدي الطفل الصغير. قد يقول قائل: إن الطفل في هذه السن المبكرة لا يفهم شيئاً من تلك الصور أو الحروف التي تتكون منها كلمات القصة التي بين يديه. والجواب هو ان هذه المرحلة لا تتطلب من الطفل أن يكون عارفاً بالقراءة، بل هي مرحلة سابقة لاكتساب الطفل المعرفة بالقراءة أو الكتابة، وهي مرحلة مبكرة على استعداده العقلي لفهم محتوى الاوراق التي بين يديه.

المطلوب في هذه السن مساعدة الطفل على أن يكتشف بالنظر واللمس عالم الكتب والصور، وأن يعقد صداقة وألفة بينه وبين هذا العالم الساحر الجذاب.

ومن الطبيعي ان يتبع هذه المحاولة، خطوات أخرى ولكن بصورة أكثر تطوراً، حيث إنه من المناسب في هذه المرحلة «مرحلة العامين وما تليها من الأعوام» أن يقوم الأب، أو الأم بالقراءة اليومية للطفل الصغير، ولو لبضع دقائق معدودة مما يثري لغة الطفل بالألفاظ المعبرة، ويعود أذنيه على سماع الكلمة بشكل

صحيح، كما يوفر له مخزوناً لغويا جيداً وهو لا يزال في سن صغيرة.

وإذا علمنا أن ابن الخمسة أعوام يستطيع أن يخزن ما بين5000 إلى 6500 كلمة في ذاكرته تأكد لنا مدى الظلم الذي يتعرض له حين تهمل تلك الاستعدادات، وتترك للخادمات الآسيويات ليقمن بدور المرشد اللغوي الفاشل، فيسمعن الطفل كلمات هجينة لا هي عربية ولا هي أعجمية، ولكنها لغة مستحدثة أنشأنها لتيسير التخاطب مع أفراد الأسرة، وبحكم الملازمة الطويلة بينهن وبين الأطفال قمن بإعطاء دروس لغوية فاشلة.. أربكت الطفل، وعطلت تلك الاستعدادات الخلاقة التي لديه، ما يجعل المسافة التي تفصل بين الطفل وبين الثقافة المطلوبة تبعد أميالاً وأميالاً!!

~ ~ ~ ✎

القاعدة التي سقطت جهلا..!!

يقول يعقوب الشاروني عضو لجنة ثقافة الطفل بالمجلس الأعلى للثقافة: «إن القراءة مظهر من مظاهر الشخصية لدى الصغار، وهي عامل مهم من عوامل نموها. فالقراءة مفتاح أساسي من مفاتيح المعرفة، وهي تفتح أمام الإنسان آفاقا واسعة».

والجميع يتفقون من حيث المبدأ على صحة هذا الرأي وليس هناك فرد واحد يعتقد خلاف هذه الحقيقة.

إلا أن الاختلاف الشديد يظهر في طبيعة الاستجابة مع هذا المطلب التثقيفي المهم.

فالبعض من الآباء يتحرك باتجاه تفعيل علاقة الطفل مع الكتاب من خلال فهمه لوظيفة الكتاب في حياة الفرد، واستعداده للمشاركة العملية في رفع رصيد أبنائه من المعرفة، ولا يرضى أن يقف متفرجا مكتوف اليدين أمام قناعته تلك.

وهذا الصنف من الآباء يتمتعون بحس عال من المسؤولية حملهم على تشجيع أبنائهم على المطالعة، دون أن ينتظروا من غيرهم أن يبدؤوا الخطوات الأولى مع الأبناء نيابة عنهم وكل ما

يحتاجه أي أب وأي أم لإنجاح هذه المهمة الثقافية هو الآليات والأدوات الصحيحة لإنجاح ذلك الهدف المتميز.

أما أولئك الآباء الخام الذين لم يستوعبوا دور هذا العنصر في بناء شخصية أبنائهم، وأسقطوه من حساباتهم التربوية فعلى المدارس أن تتسلم عنهم الدور كاملاً، وأن تؤدي المهمة بنجاح.

وكثيراً ما ردد الكتاب والمعنيون بواقع الثقافة بأن على المدارس أن تتسلم المبادرة في رفع رصيد الطلاب والطالبات من المعرفة الإنسانية وأن تكسر الحواجز التي قد تحول بين الطالب وبين تحقيقه لهذه الغاية، دون انتظار منها لبرامج مفصلة آتية من أدراج وزارة التربية التي لها بدورها أجندتها الخاصة، وبرامجها المستقلة ونظرتها المرتبطة بأهداف ثابتة، وأخرى متحولة!! إن كل شيء قابل للتحول أو التحويل أو التبديل من البرامج العملية، أو الرؤى المحكومة بأطر عامة ينبغي أن لا يمس جوهر بناء الفرد، ولا صلب مشروع التنمية المعرفية.

كما أن المراهنة على الزمن ينبغي أن تكون سياسة عملية ينتهجها الجميع، ويتسابقون للتعامل معها بشعور مرتفع بالواجب، وإحساس مرهف بأن الهدر في إعادة تشكيل عقل الطالب بما يتوافق مع متطلبات العصر وتحدياته بات غير مقبول على الإطلاق!! وكل الأعذار التي يجيدها العاملون في ميدان التربية والتعليم ليست سوى أهداف يسجلونها في شباكهم، نتيجة

قصورهم عن إدراك معنى غياب الوظيفة التحفيزية والإشرافية للمعلم على سلوك الطالب العلمي، وعلى طبيعة علاقته مع الثقافة، وموقفه تجاهها.

إن مهنة التعليم لا تحتمل إلا النجاح، وليس الفشل فيها إلا دليل الإفلاس في الرؤى، أو النقص في الكفاءات التعليمية، وكلا الأمرين ينبغي أن يكونا استثناء من قاعدة كبرى تحمي العمل التربوي من أي انتكاسة تقطع عليه الطريق، وتحرم الجيل من الحصول على التربية الشاملة التي من أهم مفرداتها بناء علاقة محكمة بين الطالب وبين المعرفة.

وحتى يؤتي أي جهد مقترح ثماره اليانعة، علينا أن نذكر بأن القدوة العلمية هي الباعث الأول على نجاح هذا الدور، وانتفاء القدوة في هذا الباب يعني أن المعلمين يطالبون تلاميذهم بما لم يلزموا أنفسهم به.

إن فاقد الشيء لا يعطيه، وما لم يكن المعلم شعلة في البحث والدراسة، فإن أوراقه سوف تتطاير من بين يديه، وسوف تذهب كلماته أدراج الرياح حيث لا تجد لها أذنا صاغية.

القراءة بالمحاكاة

كيف يمكن أن نتصور وجود طفل قارئ وأبويه قد قطع كل منهما صلته بالقراءة منذ أن هجر مقاعد الدراسة وانضم إلى صفوف العاملين حيث تغيب وسط زحام المسؤوليات اليومية تلك النوايا الحسنة المتعلقة بشيء اسمه المطالعة والتصفح الحر للأوراق المثبتة بين دفتي كتاب فيما مضى وانقضى، أو لتلك الحروف المتجاورة على شاشة الحاسوب في ذلك الفضاء المفتوح الذي تنعدم فيه القدرة على السيطرة على الوقت، أو القدرة على اختيار المادة المناسبة وسط سيل من الموضوعات مما يجعل من محاولة القراءة شيئا عبثيا لا طائل منه ولا جدوى!!

يؤكد الواقع أن وجهة النظر هذه أصبح لها جمهور غفير رآها مناسبة لتبرير فشله في إدارة ذاته، وتحقيق قدر من التواصل مع الإبداع الإنساني في شتى حقول المعرفة والثقافة.

من أشهر المبررات التي اعتمدها المنظرون للدعوة إلى الاكتفاء الذاتي بالمعلومات القديمة المكتسبة من زمن الطفولة والمراهقة ضيق الوقت، وتكاليف الوظيفة المرهقة بدنيا، إلى جانب تزاحم المسؤوليات، وهو الثالوث الخطير الذي ظل يردده اولئك الناس كلما أتاهم صوت من هنا أو هناك مذكرا إياهم أن العالم اليوم يسابق الريح.. ليكتشف المزيد من أسرار العلم!!

لقد أعطى دعاة الاكتفاء الذاتي بالمعرفة المكتسبة خلال سنوات الدراسة أنفسهم إجازة مفتوحة من عناء البحث والنظر، والأخذ والرد في جدوى تغيير موقفهم المشاحن من تجديد معارفهم القديمة، دون أن يشعروا بفداحة هذا الموقف، وإسقاطاته على حياتهم الأسرية قبل أي شيء آخر.

ولو أننا طالبنا أولئك الآباء والأمهات أن يستعرضوا معلوماتهم السابقة في أصول وقواعد تربية الأبناء فبماذا سيجيبون؟! ولو انتظرنا أن يحدثونا عن الخبرات التربوية عالية القيمة التي اكتسبوها من الدراسة النظامية في المدارس، أو ما تلاها في الجامعة فكيف سيكون الرد؟.

هل ثمة شاهد واحد يؤكد أن حال المدارس اليوم وواقع التعليم في الماضي والحاضر له أدنى ارتباط بتعليم فنون التعامل مع الأطفال، أو له أدنى صلة بالتدريب على كيفية إدارة المشاكل الأسرية دون الحاجة إلى استخدام العنف بشتى أشكاله وصوره؟!

أوليس من أكبر المآخذ على سياسات الدول العربية التعليمية أنها مقطوعة الصلة بالحياة العملية، وأن المحصلة النهائية للفوائد الناتجة عن المراحل الدراسية الثلاث لا تتجاوز نسبتها في أعلى التوقعات 10٪ مما يحتاجه الفرد في حياته العملية والاجتماعية والأسرية.

وما لنا نذهب بعيدا في نقد مناهجنا المبتعدة عن خدمة الواقع، وعن تلبية حاجات الفرد الحيوية من وجوده في البيئة المدرسية، وانضمامه إلى قافلة الدارسين، وهي عاجزة عن مساعدة الطالب في اختيار التخصص العلمي الذي يتناسب مع مواهبه واستعداداته.

والشواهد السنوية تتوالى في توضيح بعض النتائج المخيبة للآمال للمحصلة التراكمية لسنوات الدراسة والالتزام بقوانين وأنظمة المدارس في الوطن العربي فكم من طلاب وطالبات حققوا نتائج دراسية مرتفعة في الثانوية العامة، ولكنهم عجزوا عن الاختيار الصحيح لنوع التخصص الدراسي الذي يتناسب مع ميولهم وإمكاناتهم العلمية، مما أدى إلى إحباطات وتجارب مرة انعكست على تلك الفئة التي كان من الواجب بل ومن المنتظر أن تكون هي الدليل الملموس على حيوية مناهجنا التعليمية.

ولكن الانتقال غير المنظم، والاختيار العشوائي بين الأقسام العلمية في العام الدراسي الأول لبعض الطلبة المتفوقين يؤكد فشل المناهج الدراسية، والبيئة المدرسية في تعريف الطالب بنفسه، ومساعدته على اختيار هدفه بدقة ووضوح، وهو ما لم تستطع تلك المناهج، ومعها برامج الإرشاد الجامعي تقديمه للطلاب والطالبات.

فإذا كان واقع التعليم لدينا يعجز عن مساعدة النابهين في تحديد أهدافهم العلمية أفيقوى ذلك الواقع على تحقيق اكتفاء معلوماتي في شتى حقول المعرفة الإنسانية لجموع الخريجين والخريجات؟!! سؤال ينتظر الجواب.

~ ~ ~ ✎

المراهقة بين المد والجزر

«يتحرك المراهق مثل المد والجزر في موجات إلى الداخل والخارج. ففي ساعة نراه مستقلا، وفي ساعة أخرى نجده يرغب في أن نطعمه ونرعاه.

في ساعة يكون منطقياً بشكل مثير للإعجاب، وفي ساعة أخرى يكون متمرداً ومحباً للجدال. فإذا عرفنا أن هذه الأمور سوف تحدث يسهل علينا التعامل معها ومعالجتها، وعلى الرغم من وجود هذه الموجات إلا أن ظاهرة المد هي التي تطغى».

ستيف بيدولف

إن المد والجزر في حياة المراهق مسألة طبيعية ومتوقعة، وهي إحدى أهم مظاهر هذه المرحلة العمرية الخصبة من حياة الأبناء.

وتعامل الأبوين الواقعي مع مشاعر المراهق المتباينة، والتي يترتب عليها مواقف تبدو متناقضة لوهلة من الزمن يعتبر شيئاً إيجابياً ومفيداً.

من أهم خصائص مرحلة المراهقة ظهور اللغة التعبيرية الشديدة الانفعال، والتي يتبعها ـ في الغالب ـ مواقف سلوكية تحظى بذات القدر من الحدة والانفعال نظرا لكونه حديث عهد بالطفولة، وضيفا جديداً على عالم الكبار.

وبسبب هذا الظرف الزمني الذي يمر به يبدو وكأنه يسابق الزمن من أجل لفت الأنظار إلى أنه أصبح رجلاً يعتمد عليه، بعد أن فارق حياة الطفولة إلى غير رجعة.

إلا أنه سرعان ما يتراجع أمام التدفق الشديد، والاضطراب الهائل الذي يميز حركة المجتمع من حوله، ويلون الحياة بألوان غاية في التناقض والتباين، فيجعل قاربه الصغير يتمايل مرة ويستقيم أخرى!! وإزاء هذا الدفع والتدافع يبدأ المراهق في البحث عن صدر حنون، وحضن دافئ يستوعبه ويستجيب لحاجاته وتطلعاته، كما يبعث في نفسه الثقة بقدرته على اتخاذ القرارات الصحيحة التي تحميه من أن تزل قدماه في أرض رخوة تضطرب تحت أقدام اقرانه ممن حرموا من الأجواء الأسرية القادرة على تقديم الدعم لمن هم في مثل هذه السن الواعدة.

يعتبر الاقتراب من المراهق، وفتح الحوار الصريح معه من أجل اكتشاف ما يدور برأسه، والإجابة عن تساؤلاته أكثر الخطوات المرشحة لإسعافه، وتجنيبه أي مضاعفات قد تترتب على حياته الاجتماعية التي ينفرد بها في مدرسته أو في جولاته الخاصة مع رفاقه وأترابه.

وبما أن المراهق يمر بمرحلة البحث عن الذات، واكتشاف العالم الخارجي من حوله، ويقوم بجولة ذهنية في التعرف على الأفكار والاتجاهات السائدة في الوسط الاجتماعي الذي يحياه

فمن الواجب في هذه المرحلة أن يكون الأبوان على درجة من الوعي والإحساس بالمسؤولية المباشرة في تزويده بالخبرة المعرفية التي تهيأت لهما، وتوظيف الزمن والأحداث المختلفة في اتجاه تعزيز الإيجابيات التي لديه، ولفت نظره إلى طرق التخلص من الممارسات السلبية التي من شأنها أن تعطل عليه السير أو تقطع عليه الطريق!!

وبينما يدفع منهج التربية الإسلامية باتجاه توظيف الخبرة المتراكمة للآباء وتفعيلها في حياة الأبناء، يطرح المنهج الغربي فلسفة مغايرة مبنية على تعطيل الخبرة الأبوية السابقة، وتحييدها عن أداء دور فاعل وإيجابي نحو الأبناء بناء على رغبة ذلك المنهج في أن يكوّن الجيل الجديد اتجاهاته الخاصة نحو القيم والأفكار من خلال التجربة الخاصة، وهو مطلب ينطوي على الكثير من الخطورة حين يطلب من الآباء أن يكتفوا بدور التفرج حتى النهاية.

وبما أن الحياة ليست لعبة، وبما أن موقع الآباء الطبيعي أكبر من موقع المتفرجين، فإن من الصعب أن نقتنع بجدوى هذا التحييد السلبي لمن ينبغي أن يكونوا شركاء فعليين في تحديد الاتجاهات التي يتبناها الأبناء، وفي تكوين الأرضية المعرفية التي ينطلقون منها، ويتحركون وفق معطياتها الثابتة.

هذا المنطق المغلوط جرف في طريقه قواعد كانت جديرة بألا تقتلع، ورمى بها خارج دائرة التأثير والفعل، ولكنها «المغامرة» بكل

ما تنطوي عليه من مجازفة ونتائج خطيرة. ولنا أن نتصور أي نهاية لها، لأن النهاية لمثل هذه «المغامرة» بمصير الإنسان تكون دائماً مفتوحة.

~ ~ ~ ✎

تفريط في التربية الوقائية

«الشخص الذي يمتلك الخبرة لا يمكن أن يقع تحت رحمة شخص آخر خلال المناقشة».

س.أس. لويس.

تمثل الخبرات الإيجابية العلمية أو السلوكية خطوطاً دفاعية أمام الآراء الشاذة والضعيفة المفتقرة إلى الموضوعية والسند العلمي.

كما أنها تعد رصيداً جيدا من شأنه أن يرفع درجة احترام المرء لنفسه، ويمنحه الشعور بالقدرة على مواجهة المتطفلين وأصحاب النوايا الرخيصة الذين قد يلتقي بهم في الحياة إما بطريق المصادفة، أو عن طريق الصحبة والملازمة.

إضافة إلى أنها تساعده على الحفاظ على انفعالاته في أثناء المرور بمختلف التجارب الحوارية وتكسبه القدرة على الدفاع عن قناعاته، وتقديمها للآخرين على أنها هويته الثقافية، ومرجعيته التي لا يتنازل عنها مهما كانت الظروف.

غير أن اللافت للنظر أن مسألة الترويج للأفكار الخاصة لا تقتصر على الأشخاص الأسوياء إنما يتعدى الأمر إلى أصحاب

الدرجة المتدنية من الأفكار الذين لا يتردد أحدهم أن يدافع عن كافة مواقفه وآرائه بل أن يدعو المخالفين إلى اعتماد وجهة نظره مهما كانت هابطة ورديئة.

وحتى لا يسحب البساط من تحت أرجل المراهقين والمراهقات ينبغي التبكير في تزويدهم بالمعلومات الصحيحة التي تساعدهم على اتخاذ المواقف الفكرية الناضجة، وتحدد لهم اتجاهاتهم وتدفعهم لاتخاذ مواقف سلوكية تتوافق مع ما زودوا به من رصيد معرفي قادر على حمايتهم من سيل المهاترات الكلامية، والعروض الترويجية، التي برع فيها أعداد من المراهقين والمراهقات.

وأصبحوا يجأرون بصوت عال بكل ما لديهم من أفكار سقيمة، دون أن يتمهلوا لحظة لأخذ جزء من الوقت ليكتشفوا تلك الحقيقة التي غابت عنهم وسط انفعالاتهم الشديدة، وتهريجهم الدائم، وحماسهم الغريب لكل فكرة لا وزن لها ولا قيمة.

لقد كان حريا بهم أن يعقلوا أن فوضى القيم والأخلاق ليست هي الطريق الأمثل للانضمام إلى قافلة التطور والتقدم، بل هي طريق مختصر لتكريس عادات خاطئة يصبح التخلص منها أمرا عسيرا مع مرور الوقت وتتابع السلوك

والمحزن في الأمر أن غياب الدور التوجيهي، وإهمال التربية الوقائية، أدى إلى الانهزام السريع أمام التقليعات الحديثة التي وجدت أمثال أولئك الشباب فارغين من كل شيء، فلا قلب يعي، ولا

عقل يدرك، ولا إرادة تتحرك في الاتجاه الصحيح، ولا خبرة سلوكية جيدة تمنع صاحبها من الوقوع في الخطأ، وتؤكد له أنه قادر على الالتزام بقواعد القيم والأخلاق.

والشواهد الدالة على ضآلة عقول شريحة واسعة من مرتادي الإنترنت من الفتية والفتيات كثيرة أذكر منها ما ورد على لسان إحدى الصحفيات التي توجهت بسؤال إنكاري حوى الكثير من الشعور بالمرارة والصدمة بل وخيبة الأمل ممن تصدر عنهم سلوكيات مخلة بالحياء، تنم عن جنوح متعمد نحو التسلية الهابطة واللهو غير البريء.

فقد فتحت تلك الإعلامية ملف الاستخدامات الخاطئة لمواقع الدردشة على الإنترنت، وطلبت التعليق على تلك العلاقة الوهمية التي تنتج من الانفتاح على الجنس الآخر، والتي تجر طائفة من الممارسات السلبية التي تترك ندوباً وجراحاً ربما عجز الزمن عن علاجها.

وقد جاء سؤالها على النحو التالي: ما تعليقك على تلك التجربة الحوارية المفتوحة في مواقع الدردشة على شبكة الإنترنت، والتي يكون بطلاها مراهقاً ومراهقة تدور بينهما أحاديث سقيمة، ويعتقد أحدهما في صاحبه الكذب، وأنه ليس إلا ممثلا محترفا يجيد العبث بالمشاعر، ويتقمص دور الصديق المخلص وإن كان أبعد الناس عن الوفاء والالتزام بالعهد.

واللافت للنظر في عرض السؤال هو تقمص الإعلامية لدور القاضي الذي يمسك بخيوط قضية تهم الرأي العام ويريد أن يصدر حكمه النهائي فيها، بعد ان تبين له القصد وراء السلوك السلبي، والترصد لتخريب البنية النفسية لكل فرد يدخل في حوار من هذا النوع وكأن هذا القاضي لم يجد أمامه ذريعة واحدة ليلتمس بها العذر لمن يتجرأ على اختراق الخطوط الحمراء، ويتسبب في إشعال حرائق في البيوت، واتهامات وشكوك لا يمكن إطفاؤها، أو إنهاؤها بطريقة حكيمة.

لقد وقف الجواب حائرا يتلفت هل يبدأ مرافعته عن حق المجتمع بطلب إجراء تحقيق فوري لجموع الآباء والأمهات الذين فشلوا في أداء مهماتهم التربوية، والذين جهلوا بالأولويات واختلطت عليهم المسائل، أم يطالب بالتحقيق مع القوى الإعلامية التي أصبحت مهيمنة على أدمغة الكثير من الشباب؟ أم يوجه الاتهام المباشر إلى أولئك الفتيان الذين لم يتعودوا أن يكبحوا جماح أنفسهم إذا ما دعتهم إلى الطريق الخاطئ؟

أم إن كل تلك الأسباب مجتمعة أدت إلى انهيار المعنويات، وتراجع القدرة على اختيار السلوك الجيد؟!!

~ ~ ~ ✎

دعوة للاستئناف

لماذا لا يتحرك المجتمع في اتجاه تفعيل المؤسسات المعنية بالشباب، ويقاوم حالة انطفاء الإحساس بالمسؤولية المشتركة إزاء أحداث تغيير جذري في البرامج النمطية التي فشلت في صناعة واقع شبابي أفضل؟

لماذا لا يكون هناك ضغط شعبي على المؤسسات التربوية والمراكز الثقافية والتدريبية لتقديم برامج تستوعب حاجات الفتيان والفتيات؟

لماذا لا تكون هناك مطالب صريحة وواضحة للجهات التي لديها القدرة على تفعيل الجيل الجديد، وحمايته من الانفلات والضياع؟ وحتى متى يظل المجتمع بأسره يتفرج على الفوضى السلوكية الناتجة عن غياب الوعي لدى هذه الفئة العمرية بالتحديد؟ إن هذه الأسئلة وغيرها تطل برأسها كلما راقب المرء سلوكيات المراهقين، وتأمل في عباراتهم، وناقش أفكارهم!

وليس عسيراً على أي فرد ناضج أن يرصد مدى التدهور في سلم الأفكار، ومدى العجز عن فهم طرق التكيف الاجتماعي السليم.

فالشاب الصغير يرى أن تسكعه في المراكز التجارية وشربه للدخان مظاهر دالة على الرجولة واكتمال العقل، والنماذج المشابهة لهذا الناشئ المندفع نحو التقليد والمحاكاة للسلوك السلبي أصبحت أكثر من الهم على القلب، على النحو الذي يدمغ المجتمع بتهمة التهرب من المشاركة في حماية الجيل الجديد والتفريط في حقوقه ليفعل ما يشاء دون وصاية مجتمعية أو رقابة عامة تحول بينه وبين السير في الاتجاه الخطأ.

ومن الطبيعي إزاء الفراغ التربوي المتعدد المصادر أن يسلم المراهق نفسه لجماعات الشلل والأقران ليرسموا ملامح عالمهم الخاص من الزاوية التي يرغبون أن يطلوا من خلالها على المجتمع والتي يضيق حجمها بضيق الموارد المعرفية والفهم المحدود الذي يملكون، ويمهد إلى سلوكيات عقيمة تضعف قابليتهم للتعلم، وتقودهم إلى الفشل!!

إن هذه المتاهة التي صنعها التخلي عن رعاية الجيل، ودخلت فيها الجموع المغيبة عن اكتشاف أهدافها في الحياة هي أكبر مظهر على تراجع الإحساس الجمعي بفداحة غياب التخطيط الوقائي ضد الآفات الاجتماعية، والإشكالات السلوكية الناتجة عن غياب برامج الرعاية لهذه الفئة العمرية التي لديها مطالب لا تقبل التأجيل والانتظار.

ومن ثم فإن إجراء نقد ذاتي تقوم به المؤسسات المعنية بالشباب، أو يقوم به الموسرون من أفراد هذه الأمة هي مسائل غير

مدرجة في أجندة الأنشطة الخاصة بالجهات المطلوب منها أن تنجز مهمة الإنقاذ، وأن تصنع بيئة مواتية تنفتح فيها ملكات الجيل، ويكتسب عبرها الخبرات اللازمة لتفعيل صلته بالحياة من حوله.

إن اعتماد الخطط الوقائية التي نطالب بها المؤسسات المجتمعية هي الخيار القادر على التفوق على إحباطات الواقع وتداعيات التجارب الفاشلة التي نتجت عن البرامج الاستعراضية المفتقدة للقيمة والأثر، والمسؤولة عن حالة الهروب الجماعي، والاستخفاف العلني بها من قبل المستهدفين من المراهقين الذين لم يكونوا بحاجة إلى ذكاء خارق لاكتشاف الثغرات والثقوب في تلك البرامج المنتهية الصلاحية في عصر الديجيتال والثورة التقنية فائقة الجودة، وإن من يراهن على النجاح في استقطاب هذه الشريحة عليه أن يتقن قراءة لغة العصر، وأن يكون سباقا في إبداع الأفكار الخلاقة القادرة على المنافسة مع البدائل الأخرى المنتشرة في الأسواق.

أما أن يحمل المعنيون بهذا الدور على أكتافهم إرث البرامج القديمة، ويعيدوا ترميمها من جديد فإن مهمتهم ستمنى بالفشل الذريع، ويغدو عملهم نفخا في قربة مقطوعة.

وسرعان ما ستدور عجلة الزمن دورتها الطبيعية ليفاجأ من راهنوا على الوهم أن من أضاعوهم صغارا جاؤوا كبارا للانتقام، وتجريع النيام كؤوس الندم على التفريط في مواسم البذر والغراس!!

لقطة عن قرب

ترى ماذا تعني اعترافات الجيل، وماذا تعني صراحتهم غير المعهودة ممن هم في مثل سنهم من الأجيال التي سبقتهم، ولم يكن لها عهد على الجرأة والصراحة في أمورهم الخاصة؟!

إن قدرة المراهقين والمراهقات على مواجهة الكبار والاعتراف أمامهم ببعض الأخطاء والتجاوزات التي صدرت منهم هو أمر يشهد به من يمارسون عملية التوجيه والتربية، سواء كانوا من فئة المعلمين والمعلمات أو من فئة الآباء والأمهات الذين كسروا حاجز الخوف المصطنع، وذهبوا بعيدا في اتجاه تكوين علاقة محسومة لصالح الصداقة والعاطفة المفتوحة التي باتت تجمع بين جيلين.

من اللافت للنظر حقاً أنه بمجرد تكون نوع من الثقة والاحترام لدى الفتيان والفتيات تجاه أحد الكبار فإنه سرعان ما تذوب الفوارق والمسافات الوهمية، ويرى المراهق أو المراهقة نفسيهما مندفعين إلى تحطيم الأسوار واطلاع من رأوه أهلا للثقة على أسرارهما أو ما حاولا إخفاءه عن الأقران والأصدقاء وربما من هم أقرب إليهم من هؤلاء.

ولقد لامست عن قرب مثل هذه المبادرات الثمينة التي تصف حالة التوهج، والرغبة في الوصول إلى احترام الذات، وتصحيح

المســـار لدى شـــرائح مـخـتلفـة من الفــتـيـات وجـدتهن مـهـيـآت لتحسين سلوكهن وإضفاء قدر من المسؤولية على ما يقمن به من أعمال.

وبينما بدا لي أن اعتراف الفتاة بالقيام بخطأ ما أمام أحد الكبار هو سلوك إيجابي ينم عن وجود صوت داخلي عميق يطالب الفتاة بأن تعتني بتهذيب مشاعرها وأفكارها وتصرفاتها، وجدت طائفة أخرى من الناس ينظرون إلى هذا السلوك على أنه جرأة أكثر مما يجب، وقد يتخذونه مؤشراً جديداً على انفلات الفتاة وعدم احترامها لمن حولها أو أنه نوع من التباهي بالسلوك السلبي أمام الآخرين، وفي تقديري أن مثل هؤلاء الناس قد ذهبوا بعيدا في ظنونهم وأساؤوا فهم مغزى الرسالة التي يحملها هذا التصرف الإيجابي الملموس.

فـالفـهم الأسـرع لمثل هذه المحـاولات والاجـتـهـادات أنه طلب بالتدخل والنجدة، وإنقاذ الفتاة من عواقب سلوكها المرتبك الذي لم يعد بها قدرة للسيطرة عليه أو تعديله.

وهذه الصـرخـة تنم عن ثقـة كـبـيـرة بالطرف الذي تلقي إليـه بحملها الذي ناءت به، وتريده أن يمد لها يد العون ليختصر عليها المسافة التي تفصل بينها وبين السلوك الملتزم.

ثم إنهـا إشـادة عـمليـة بإمكانات المربيـة التي تضع بين يديهـا مشكلاتها الخاصة، وتختارها دونا عن سواها لتستمع إلى شهادتها

على نفسها، واعترافها بارتباكها الشديد وعجزها عن إصلاح عيوبها التي يؤرقها الاستمرار فيها.

إن اعتراف الجيل، وشهادته على نفسه هو علامة إيجابية على الرغبة في التخلص السريع من أي تدهور في السلوك، أو تراجع في الاهتمامات.

وعلى المربين أن يرحبوا بهذه المحاولات، وألا يكونوا قضاة يبحثون عن الدلائل والشبه ليبنوا عليها أحكامهم التي لا تتناسب مع طبيعة الموقف العلاجي الذي تستدعيه طبيعة الظروف التي ترتبط بالطلاب والطالبات، وتتطلب مرونة عالية وقدرة على توظيف المواقف السلوكية في اتجاه تدعيم العلاقة النفسية والارتباط الوجداني بين المربي وطلابه، وبين المربية وطالباتها، وهو أمر لا يتأتى لمن يتصدى للمواقف المختلفة التي تصدر من الجيل، بِنَفَس القاضي الذي لا شك أن طبيعة مهنته تختلف اختلافا كليا عن مهنة المعلم أو المعلمة!! ويوم أن تتشابك الأدوار، ويحصل التفاف على أحدها من قبل بعض المنتسبين إلى الميدان التربوي، فإن هدرا على مستوى العلاقات الخاصة بين فئتي المؤسسة التعليمية سوف يحدث.

وسوف تحيد عناصر حيوية كانت قادرة على استثمار البيئة المدرسية في تحسين علاقة الطالب مع نفسه، ومع أدواره الأخرى.

هي متاهة صنعها المربي الذي فقد القدرة على الربط بين دوائر العمل التربوي المكلف به، ثم دخل فيها الناشئ الذي تلفت يمينا وشمالاً ولم يجد من يبادر باحتوائه واستيعابه والإصغاء إليه!! والسؤال الحائر: أليس الالتفاف على أحد الأدوار البارزة في العمل التربوي دليلا على الخلل في الرؤية والتثاقل عن أداء الواجب، أم الأمر خلاف ذلك؟!

~ ~ ~ ✎

صورة مائلة

تمثل مشاعر الحب والاهتمام النابعة من الأبوين رصيدا هائلا لإثراء العلاقة العاطفية التي ترتبط بالأبناء.

في حين يؤدي الافتقار إليها إلى إحداث فراغ عاطفي في نفوس الأبناء يمكن أن يجرهم إلى محاولة ملئه بالطريقة الخطأ، وبأساليب محفوفة بالمخاطر!

فانعدام التوازن لدى الشخصية المحرومة من الحنان الأبوي يمكن أن يؤدي إلى حدوث اضطراب في السلوك، خاصة فيما يرتبط بجانب العلاقات الاجتماعية التي تعتبر مرآة عاكسة للحالة النفسية التي عليها الابن أو الابنة.

العلاقات الاجتماعية لدى أولئك الأبناء المحرومين من العاطفة الأبوية تعاني بدورها من ارتباك وضعف شديدين لعل من أهمها وجود صعوبة في التكيف الاجتماعي والانسجام مع المجتمع الخارجي، والبيئة المحيطة، أو حدوث إفراط في إحدى العلاقات التي تربط مثل هذا الشاب أو الفتاة بأصدقائهما على نحو مرفوض كنوع من التعويض عن الحرمان العاطفي الذي لم يوفق الآباء في تقديمه لهما بالصورة والكيفية الصحيحة، والأسباب

كثيرة في ذلك نجتزئ منها تلك الصورة التي يصر بعض الآباء أن يبرهنوا من خلالها عن عواطفهم تجاه من يربون.

يذهب خيال أولئك الناس إلى المدى البعيد فيصور لهم أن ضمان تحقيق الأهداف التربوية يأتي عن طريق الضغط المستمر على الأبناء ليكونوا متميزين في حياتهم، بينما لم يتثبتوا من قدرة أو عجز تلك الطريقة على إحداث الأثر المطلوب.

إن الابن لكي يؤدي ما عليه من واجبات يجب أن يأخذ أولا ما له من حقوق، وليس العكس كما يتصور البعض حيث تأتي النتائج بما لم يكن في الحسبان!!

فمن الصعوبة أن يكون الطفل مثاليا في تصرفاته كما أن من الصعوبة كذلك أن تمر مرحلة المراهقة دون أي قلاقل مهما كانت بسيطة فاشتراط الكمال هنا طلب متعسف وجائر.

إن من طبيعة البشر الخطأ والنسيان، و من طبيعة الصغار كذلك أن يقترفوا بعض الأخطاء حيث لم تتكون لهم الخبرة الحياتية الكافية، وما زال طبعهم على العناد غالباً!!

وما لم يكن هناك صدر مفتوح، وأيد مبسوطة واذن صاغية، فإن الأبناء لن يستطيعوا وحدهم أن يصححوا خطواتهم أو يتغلبوا على طباعهم التي مازالت بحاجة إلى جهد الآباء وصبرهم ودعمهم الكبير والمستمر.

المطلوب في هذا الموضوع أن يتعرف الآباء والأمهات على أهمية الفصل الكامل بين سلوك الابن وبين شخصه وذاته، وأي

خلط في هذا الجانب هو نوع من التخلي عن الواجب الأبوي، والرعاية المطلوبة تجاه الأبناء والبنات!!

ان النقد الفاعل هو الذي يركز على السلوك وليس على الشخصية!! والفرق بين الشيئين يدركه كل أب ومرب وعاقل. حيث يؤدي النقد المباشر والموجه إلى كيان الابن أو البنت إلى حرق المساحة التي يقف عليها جميع أفراد العائلة.

لاشك أن المساحة التي تفصل بين ذلك الابن أو تلك البنت ستحترق أو يصيبها الجفاف الشديد بحيث تفترق القلوب تحت سياط الاتهامات وجرح المشاعر وانتقاص ذوات الأبناء.

وطالما انتقصت الكرامة الانسانية، وتمت مواجهة الابن بأحكام صارخة منها أنه عديم الفائدة أو أن الرجاء فيه ضعيف فإن الأوراق التي يتعامل بها أولئك الآباء ستسقط لا محالة!!

ومن يدعي أن إهانة الذات الإنسانية تعني الأخذ بيديها إلى النجاح يكون واهما لا محالة. فبالاحترام لا بالسخرية والتعنيف تتآلف الأرواح، وتتهيأ لقبول النصيحة والتوجيه.

~ ~ ~ ✎

مراجع يستأنس بها لبناء الوعي التربوي

ثقافة الطفل: سلسلة بحوث ودراسات / تحرير حسن شحاته، وفيوليت فؤاد إبراهيم وآخرون.- القاهرة: المركز القومى لثقافة الطفل، 1990. (سلسلة ثقافة الطفل - الشمجلد الخامس 1990).

شحاته، حسن.

ثقافة الطفل: سلسلة بحوث ودراسات / تحرير حسن شحاته.- القاهرة: المركز القومى لثقافة الطفل، 1989. (سلسلة ثقافة الطفل - المجلد الرابع 1989).

الشربينى، زكريا.

نمو المفاهيم العلمية للأطفال: برنامج مقترح لطفل ما قبل المدرسة/ زكريا الشربينى.- القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1988.

الشيبانى. عزيزة محمد أحمد.

أثر رياض الأطفال على التكيف الاجتماعى المدرسى / عزيزة محمد أحمد الشيبانى.- مصراتة (ليبيا): الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، 1992.

صادق، يسرية.

تصميم البرنامج التربوى للطفل في مرحلة ما قبل المدرسة / إعداد يسرية صادق، وزكريا الشربينى.- القاهرة: دار الفكر الجامعى، 1987. (سلسلة دراسات الطفولة).

صفير، جاكلين

تحديات ومبادرات في تربية الطفولة المبكرة: تقرير عن أعمال ونتائج ورشة عمل، قبرص 1992 / إعداد جاكلين صفير، وجوليا جيلكس وآخرون.- نيقوسيا: ورشة الموارد العربية، 1992.

الطيب، محمد عبدالظاهر.

مشكلات الأبناء وعلاجها من الجنين إلى المراهقة / محمد عبد الظاهر الطيب.- القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 1989.

العبد، عاطف عدلى.

الطفل العربى ووسائل الإعلام وأجهزة الثقافة (دراسة ميدانية): نحو مستقبل ثقافى أفضل للطفل العربى / عاطف عدلى العبد، وعبد التواب يوسف.- القاهرة: المجلس العربى للطفولة والتنمية، 1988.

عبدالواحد، عزيزة.

الحاسب الأول للطفل / عزيزة عبد الواحد.- القاهرة: المركز العربى للنشر والتوزيع، 1991.

عبدالواحد، عزيزة.

قاموس الطفل الأول / عزيزة عبد الواحد.- القاهرة: المركز العربى للنشر والتوزيع، 1991.

قطامى، نايفة.

نمو الطفل ورعايته / نايفة قطامى، وعالية الرفاعى.- عمان: دار الشروق، 1989.

قطامى، يوسف.

تفكير الأطفال: تطوره وطرق تعليمه / يوسف قطامى.- عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1990.

قطب، محمد على.

أولادنا في ضوء التربية الإسلامية / محمد على قطب.- القاهرة: مكتبة القرآن، 1983.

قناوى، هدى محمد.

الطفل... تنشئته وحاجاته / هدى محمد قناوى.- القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1988.

الرعاية الأولية للطفل (الكتاب الثانى): مرشد للمشرف الاجتماعى والمدير والمدرس / موريس كينغ وآخرون، ترجمة مؤسسة الأبحاث اللغوية، مراجعة زهير فتح الله.- نيقوسيا: دلمون للنشر. ميدتو للتنمية والرعاية الصحية، 1979.

لجنة من علماء الأزهر.

المنهج الإسلامي في رعاية الطفولة / إعداد لجنة من علماء الأزهر.- القاهرة: يونيسف، 1985.

مايرز، روبرت ج.

نحو بداية عادلة للأطفال: وضع برامج الرعاية والتطور للطفولة المبكرة في البلدان النامية / روبرت ج. مايرز، ترجمة ورشة الموارد العربية.- نيقوسيا: ورشة الموارد العربية، 1995. المجلس العربى للطفولة والتنمية.

محمد، عادل عبد الله.

النمو العقلى للطفل / عادل عبد الله محمد.- القاهرة: الدار الشرقية، 1990.

محمد، عواطف إبراهيم.

مفاهيم التعبير والتواصل في مسرح الطفل / عواطف إبراهيم محمد .- القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1990 .

محمد، عواطف إبراهيم.

الطرق الخاصة باستثمار القصص المصورة في تعليم طفل ما قبل المدرسة / عوامطف إبراهيم محمد .- القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1989

محمد، عواطف إبراهيم.

طرق تعليم الطفل مهارات القراءة والكتابة: من 4-6 سنوات / عواطف إبراهيم محمد .- القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1989 .

الكيلاني، نجيب

أدب الأطفال في ضوء الإسلام، نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة 1406هـ - 1986م

جعفر، عبدالرزاق

الطفل و الكتاب، عبدالرزاق جعفر، بيروت: دار الجيل.

الهرقي، محمد علي

أدب الأطفال دراسة نظرية و تطبيقية،محمد علي الهرقي، دار الاعتصام 1996م.

عطا، إبراهيم محمد

عوامل التشويق في القصة القصيرة لطفل المدرسة الإبتدائية، إبراهيم محمد عطا كلية التربية،جامعة القاهرة.

النعيمي، مريم عبدالله

إشراقات تربوية،مريم عبدالله النعيمي، دار ابن حزم، بيروت

النعيمي، مريم عبدالله

المملكة الأسرية، مريم عبدالله النعيمي، 2005م، دار ابن حزم

النعيمي، مريم عبدالله

في سبيل التغيير، مريم عبدالله النعيمي، 2006م، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، الرياض

حسين، كمال الدين

فن رواية القصة القصيرة و قراءتها للأطفال، كمال الدين حسين، الدار المصرية اللبنانية 1999م.

إلكايند، ديفيد

الطفل المستعجل، ديفيد الكايند، مكتبة العبيكان، 2004م.

من الصحف والدوريات

1) حروف وأفكار

كيف تتكون العادات؟ / الدكتور إبراهيم البليهي

جريدة الرياض /الأحد 29 شوال 1425 هـ - 12 ديسمبر 2004 م - العدد 13320

http://www.alriyadh.com/2004/12/12/article11427.html

2) (محمد أسد مفكر لم ينل حقه من الدراسة)/ الدكتور إبراهيم البليهي/ جريدة الرياض.

الأحد 30 رجب 1426هـ - 4 سبتمبر 2005م - العدد 13586

http://www.alriyadh.com/2005/09/04/article91856.html

3) الطبيب كليمنصو قاد فرنسا إلى النصر- الدكتور إبراهيم البليهي/ جريدة الرياض

الأحد 10 صفر 1426هـ - 20 مارس 2005م - العدد 13418

http://www.alriyadh.com/2005/03/20/article49173.html

4) مديرات المدارس بحاجة إلى برامج تدريبية في المطالعة الفعالة

جريدة الجزيرة http://www.al-jazirah.com

5) الذاكرة و التعلم/ عبد الحكيم السلوم / مجلة النبأ

http://www.annabaa.org/index.htm

6) دراسة علمية عن إسهام الكاريكاتير الصحفي السعودي في تسليط الضوء على المشكلات التعليمية والتربوية (تحليل المحتوى) الدكتورإبراهيم بن عبدالعزيز بن حمد الدعيلج مجلة الجزيرة عدد 73

http://www.aljazirah.com.sa/

7) حديث الأرقام المؤلم ريم عبيدات صحيفة الخليج

http://www.alkhaleej.ae/articles/show_article.cfm?val=192056

8) الطفل الموهوب قدرات عقلية تنميها الرعاية، لمياء صدقة حريري مجلة أهلا وسهلا التابعة للخطوط الجوية العربية السعودية

www.ru4arab.ru/ images/boook.jpg

9) مؤشرات يابانية بقلم أحمد عبدالله - الجيل صحيفة البيان

http://www.albayan.ae/servlet/

Satellite?cid=1122634860500&pagename=Albayan%2FArticle
%2FFullDetail&c=Article

10) المكتبات العامة أداة لعبور جسر «الهوة المعرفية» حاتم حسن الجيل/ صحيفة البيان

السبت 24 سبتمبر 2005،20 شعبان 1426هـ السنة السادسة والعشرون، العدد السبت 24 سبتمبر 2005،20 شعبان 1426هـ

http://www.albayan.ae/servlet/
Satellite?cid=1123365764670&pagename=Albayan%2FArticle
%2FFullDetail&c=Article

11) الوجه الآخر لحياة المبدعين ياسر عبد الحميد حمودي -صحيفة البيان - 26/أكتوبر/2000م

www.albayan.ae

المواقع الإلكترونية

1) مشروع مكتبة الأسرة للسيدة سوزان مبارك

http://www.maktabetelosra.org/home.htm

2) القراءة فى عصر الإنترنت

http://www.arabiyat.com

3) أوسعوا للشيخ الصغير / مفكرة الإسلام

http://www.islammemo.cc

4) الاختصاصيون في المكتبات والمعلومات ودورهم في إرساء مجتمع المعلومات- قاسم أبو حرب - النادي العربي للمعلومات

http://www.arabcin.net/arabic/5nadweh/pivot_3/library_specialists.htm

5) هل تعلم أن ...؟ إسلام اون لاين

http://www.islamonline.net/Arabic/news/2000-12/05/article7.shtm

6) أدب الأطفال وثقافتهم قراءة نقدية - د.سمر روحي الفيصل

دراسة - من منشورات اتحاد الكتاب العرب - ورقة عمل المؤتمر الثقافي الوطني الأردني- صناعة النشر والتوزيع فتحي خليل البس.

http://www.shorok.com/activities_details.php?event_id=40

المولعون بالكتب

www.qantara.de

مشاهدة الأطفال للتلفاز تقلص مهارات القراءة

http://arabe.casanet.net.ma

الموبايل لملاحقة الطلبة المتغيبين في أيرلندا

www.masrawy.com

المكتبات: ماذا تبيع، وماذا تجلب؟

www.alriyadh.com.sa

كلاب أمريكية تعلم التلاميذ القراءة

www.masrawy.com

آدابنا والتعليقة د. بدر ملك د. لطيفة الكندري

www.geocities.com

التعليقة والتعلم التدبري بقلم د. سامي نصار

www.geocities.com

بعض التوجيهات لكتابة التعليقة التعليمية

www.geocities.com

تأخر الأطفال دراسياً.. الأسباب والمبررات

إعداد: خليل إبراهيم البيطار

http://www.balagh.com/woman/trbiah/kn0ss0od.htm

الرد على الأسئلة الدينية التي تقلق الطفل

http://www.balagh.com/woman/trbiah/mn0u2ggl.htm

اهم آراء تولستوي التربوية

http://www.balagh.com/woman/trbiah/mn0u2ggl.htm

✎ ~ ~ ~